الفصل الاول

حكم اسرة ال باليلوج ١٢٦١ ــ ١٤٥٣ م

١ــ الاسرة الباليلوجية

تعتبر اسرة ال باليلوج احدى الاسر اليونانية الاقطاعية الكبيرة. وكانت ترتبط بمصاهرات مع كل من اسرة ال كومنين وال دوقاس وال انجليوس وقد سطع نجم هذه الاسرة خلال عهد الامبراطور يوحنا الرابع (١٢٥٨ ــ ١٢٦١ م) الذي تربع على عرش امبراطورية نيقية عقب وفاة والده الامبراطور ثيودور الثاني. وكان لصغر سن هذا الامبراطور الذي لايتجاوز حينذاك عشر سنوات دوراً كبيراً في تكليف ميخائيل باليلوج مهمة الوصاية على ذلك الامبراطور الطفل. وبذلك اصبح ميخائيل امبراطوراً مشاركاً.

كان ميخائيل اقطاعياً وعسكرياً من الطراز الاول، شغل رتبة قائد في الجيش، ويوصف بأنه لبق ومحدث ماهر اعجب به الجند واحبه الناس، واثارت شعبيته هذه وساوس البلاط. فتعرض الى تهمة التامر ضد العائلة الحاكمة ثلاث مرات فلت منها جميعاً باعجوبة (١). لكنه نجح في الاخير بالانفراد في السلطة بعد تخلصه تدريجياً من جميع اعوان واقرباء الامبراطور الصغير، واستبدلهم بأخرين من المخلصين له كما استرضى رجال الدين عن طريق منحهم الاموال والهدايا (٢). وهكذا

(1) Vasiliev, op. cit, p. 538.

(2) Oman, Op. cit, p. 303-304.

اصبح ميخائيل باليلوج امبراطوراً لينيقية من عام ١٢٥٩ م وحتى عام ١٢٦١ م. بعدها بدأ ميخائيل يخطط للاستيلاء على القسطنطينية واعادة توحيد الامبراطورية البيزنطينية. وقد تم له ذلك فعلاً وكما ذكرنا في ١٥ اب من عام ١٢٦١ م توج ميخائيل الثامن باليلوج امبراطوراً بيزنطينياً في كنيسة ايا صوفيا في القسطنطينية بعد دخول قواتها اليها.

٢ــ الاحوال السياسية والاقتصادية:

لايعني انتصار ميخائيل الثامن باليلوج (١٢٦١ ــ ١٢٨٢ م) انه اعاد حدود الامبراطورية الى ماكانت عليه عند سقوطها في يد الصليبيين عام ١٢٠٤ م. فقد كان هناك جانب من بلاد اليونان مقسماً بين بعض الامراء الصليبيين، وجزر بحر ايجة التي كان معظمها تحت سلطان البنادقة. وعليه فان الامبراطورية البيزنطينية في عهد اسرة ال باليلوج كانت تشمل ماامتلكته امبراطورية نيقية اصلاً في آسيا الصغرى. والقسطنطينية وتراقيا وجزء من مقدونيا وكانت مدينة سالونيك المدينة الرئيسية فيه. واخيراً كانت الامبراطورية تحوي كذلك عدداً من الجزر مثل رودس ولسبوس وامبروس (٣).

لقد كانت مسألة اعادة لامبراطورية البيزنطينية الى سالف قوتها وعظمتها مسألة شاقة تتطلب جهوداً ضخمة. وقد حاول الامبراطور ميخائيل الثامن ان يحقق هذا الحلم. وبالرغم من انه لم يستطيع ان يصل الى هدفه النهائي، فأنه بفضل الخطة التي حاول انجازها وبفضل ادارته الماهرة وذكائه، يمكن ان نعتبره اخر اباطرة القسطنطينية العظام (٤).

وفور اعتلاء هذا الامبراطور العرش، اتضح للبيزنطينيين وللصليبيين الاوربيين على حد سواء عزمه على استرداد كافة البلاد التي كانت من قبل جزء من الامبراطورية. وقد تمكن ميخائيل الثامن من وضع قدمه في امارة المورة الصليبية. كما اخذ جانينا Janina من امير ابيروس، وانتزع كذلك جزءاً من مقدونيا من ايدي

---

(3) Vasiliev, op. citr, p. 580-581.

(4) Baynes and Moss, Op. cit, p. 41.